

هل ينبغي أن تزاحم المرأة الرجل؟ للآنسة زينب الراجحي

قامت في كلية الآداب بالجامعة المصرية مناظرة بين طائفتين من طلبة الكلية ومطالباتها حول الغاية التي تتعلم من أجلها النشأة: أي تتعلم لتزاحم الرجل في ميدانه، أم لتتقن طريقها لنفسها في الحياة؟ والمقالة التالية هي كلمة الآنسة الأدبية زينب الراجحي في هذه المناظرة، ولها كانت الغلبة. والآنسة زينب هي كريمة الفقيه الكريم المرحوم مصطفى صادق الرافعي

رجل وامرأة: هذه قسمة الطبيعة، فهل كانت عبثاً؟
رجل وامرأة: هما التصوران اللذان تتكون منهما الانسانية،
فهل أخطأت الطبيعة حين جعلت معنى الانسانية يتكوّن من
عنصرين لا عنصر واحد؟

عجيباً! إن الانسان لا يمكن أن يقهر الطبيعة وهو جزء منها،
لأنه خاضع لسلطانها، لأنها بقوايتها الصارمة تسبّط عليه وتوجهه
وجهته من غير أن يكون له اختيار

إن القوانين لا توضع لمصلحة فرد واحد، ولكنها تشرع
لمصلحة الجماعة عامة، والقانون الذي فرضته الطبيعة على البشرية
أن الانسانية اثنتان: رجل وامرأة، فكيف تريدونه على ذلك
التفسير الخاطئ حين تقولون إن الانسانية رجل ورجل: رجل
له شارب ولحية، ورجل ناعم أسرد...

اذكروا لي إنساناً واحداً يستطيع أن يقول بمقل: لماذا
يغشى الناس على أرجلهم ولا يمشون على أيديهم؟ قد تكون
الأرجل أقوى وأشدّ سلاية من اليدين، وهي بذلك أقدر على عمل
الأيدي، ولكن الطبيعة خلقت الرجلين ليمشي بهما من يريد أن
يمشي، وخلقت اليدين للعمل؛ فما أحق من بتخيّل إنساناً
يستطيع أن يجعل رجله لغير المشي ويديه لغير ما تعمل اليدين!
هكذا خلقت الطبيعة الانسان، والطبيعة قانون عام مطاع لا يجدي
أن يتمرد عليه متمرد...

ولكن تمالوا حدثوني حديثكم عن المعنى الذي تريدون حين
ترغمون أن من حق المرأة أن تنافس الرجل في ميدانه، وأن
تضطلع بما يضطلع به من العمل؟

أريدونها أن تحمل الفأس، وتجري خلف المحراث، وتحرس
قنطرة التربة، وتمهد السكك الزراعية...؟
أم تريدونها على أن تعمل بالنشار، وتذق بالقدوم، وتصعد
على الخشب المدود فوق المأثر لتبني، وتحفر حيطان البيوت
لتضع أسلاك النور وأنابيب الماء...؟

أم تريدونها على أن تقف في خطوط النار وفي جرابها سيف
يلع، وعلى كتفها بندقية تقذف بالشرر، أو تجري على الصخر
وراء المدفع وفي يدها زناده، أو تحفر الخندق بيديها الناعمتين
لتصد عدوان المغير، أو تبني الشكنات لتقيم فيها أخواتها
المسكريات الرشيقات الخفيفات الأجسام...؟

حدثوني أيها المؤيدون، أريدونها لهذا لهمون عليكم وتبتذل
وتذل، أم تريدون لها النعمة والصون والمزة؟
ما أهون شأنك عند نفسك أيها الفتاة لو لبث هذا النداء!

أسمع همساً تحتلج به الشفاه: إنهم يقولون: لسنأريد لها
هذا. فحدثوني ماذا تريدون؟ أريدونها للقضاء والنيابة، ولإدارة
الأعمال في التاجر، وللكتابة والحساب، ولتقيام على شئون
الطلاب في المدارس والكلية، وللدفاع عن الظالمين في المحاكم،
ولتخطيط المصورات الهندسية للبناء؟

حسن! قد يكون هذا خيالا لذيذاً يداعب كل فتاة في
أحلامها، ولكن... ولكن ليس الرجال جميعاً نواباً، وقضاة،
وتجاراً، وكتبة وحسبة، ومعلمين ومحامين ومهندسين

إن هذه الوظائف على كثرتها لا يقوم بها إلا ربع الرجال،
وثلاثة أرباعهم لغير ذلك من المهام الشاقة والأعمال المضيئة، فخير بي
يا فتاة: أتريد أن تكوني رجلاً كاملاً يقوم بواجباته كلها ويحتمل
ما عليه من تكاليف الرجولة بشقائها وآلامها؟ أم تريد أن
تكوني ربع رجل؟ يا لها من صفقة خاسرة! إن أعدى أعداء
المرأة لا يستتص من مكانتها الاجتماعية بأكثر من دعواها بأنها
نصف الرجل، فإلك ترضين بالآقل لتعودي ربع رجل...؟

لا يا أختي، إن لك وظيفة أخرى غير مزاحمة الرجل في
ميدانه، وإنها لأجل شأننا وأعظم خطراً من كل ما يقوم به الرجال

من أعمال . إن لك وظيفة الأم التي تلد الرجل ، ووظيفة المربية في البيت التي تربي الطفل لتخلق منه الرجل ، ووظيفة الزوج التي تملأ قلب زوجها بأفراح الحياة لتشد فيه عزيمة الرجل

إنك سيدة الرجل فلا تبتذلي نفسك دون ذلك لتوهي الرجل أنه خير منك

نم ما ذا ؟ سأحاول أن أشرق النقاب قليلاً لأحدث إليكم في جراءة الفتاة التي تمتاز بأنها فتاة ، لأقول لكم إن المرأة لم تخلق لتقوم في الحياة بوظيفة الرجال : المرأة التي يستهويها الثوب الأنيق فتقف أمام المرأة طويلاً تنظر إليه ، وتنظر إلى نفسها فيه — هذه المرأة لا تعرف قيمة الزمن ، والزمن هو الميزان في كل الأعمال ستحاول فتيات من زميلات أن يمترضن ، ولكن هذه هي الحقيقة . لقد خلقت المرأة وليس أحب إليها من زينتها شيء . الزينة لنفسها لا لشيء آخر ، وكأن كل أنثى تشعر في أعماق نفسها أنها ليست شيئاً بغير الزينة . أجل الجميلات وأدمُ الدميّات في ذلك سواء ، فإين هذا من خشونة الرجل ؟ أترونها بذلك تصلح لأن تزاحمه وتعمل في ميدانه ؟ هيات يا أختاه ! وحذار أيتها الفتاة أن يخذلك ممولو التي ... إن مكانك هناك ...

هناك على العرش في مملكة البيت أيتها الملكة إلى هنا أقف قليلاً لأنظر في وجوهكم ووجوهكن أثر الافتتاع ومظاهر الطمأنينة إلى عدل الطبيعة

هل بلغت موضع الاحساس من نفوسكم ؟ إن شفاهاً تبتسم ، وإن همساً يتطاير من هنا ومن هناك . إسمعوا :

هذه فلانة ناظرة مدرسة ثانوية من مدارس الحكومة ، في الدرجة الرابعة أو الثالثة لا أدري ، تقبض كل شهر خمسين جنياً ، وتحكم على ثشرين أو ثلاثين من خيار المعلمين والمعلمات ، وتسيطر بإرادتها على بضع مئات من بنات الطبقة العالية في مصر ، تلميذاتها ، ولها في البيت ولد ، ولها زوج !

أنحسبون أن هذه السيدة سعيدة بما بلغت من جاه وما أدركت من نجاح في مزاحمة الرجل ؟

وارحمتهما لها مما تمنى ، وألف رحمة للأمة منها ، وألف ألف زوجهما المسكين ، وما شتم من الرحمت فاستمطروها على ولدها المحروم ، اليتيم في حياة أبويه

أنعرفون من يقوم لها بشئون البيت ! لو كان هو زوجها

لقلنا : شيء مكان شيء ! ولو كان له امرأة أخرى لقلنا : قد انتصف لنفسه ! ولو كان في البيت مديرة مصرية لقلنا : ذهبت واحدة لعمل وحلت أختها في عمل غيره . ولكن ... وأسفاه ! إن في البيت مديرة حقاً ، ولكنها مديرة أجنبية ، مديرة لا تعرف من لفتنا ، ولا من تقاليدنا . ولا من ديانتنا ؛ مديرة ليس لها عواطف الأم ، ولا حنان الزوجة ، ولاغيرة الأخت ، حتى ولا شعور التراحم بالرابطة الوطنية ...

لقد ذهبت السيدة الجليلة لتزاحم الرجل ، ولكنها أخذت مكانها لأجنبية ، لقد باعت أمومتها واشترت الوظيفة ، لقد جحدت وطنيتها حين جحدت أنها امرأة ... ليت شعري أليست تفار هذه المرأة ، أليست تفار على زوجها حين استهانت بالرابطة التي بينهما فاستأجرت له زوجة ؟ أليست تفار على ولدها الذي تجاهلت حقه في خانها فاستأجرت له أما ؟ أليست تفار على بيتها الذي لا يحمل فيه إلا كايحل المسافر في فندق ؟ أليست تفار على وطنها حين أفسحت لامرأة أجنبية أن تكون مكانها سيدة بيت ؟

ليست هذه وحدها التي خرجت لتزاحم الرجل في ميدانه فما زحمت إلا نفسها . إنهن كثيرات أيها السادة ، وإن أسوأ لشديد ؛ نعم نجحت بضع نساء في مزاحمة الرجل ولكن بعد ما أسلن بيوتهن إلى الأجنيات . لكأنني بكل امرأة من هذا النوع تهتف في أعماق نفسها قائلة : « لقد احتل الرجال مراكز الأعمال جميعاً فلنيجلوا عنها بقوة المرأة . ولاعلينا بعد ذلك أن نحتل الأجنيات كل بيوت مصر ! »

علموا لنا أولاً مدبرات البيوت وربات المنازل وأمهات الرجال وزوجات الأبطال ، ثم ادعوا بعد ذلك واستطيلوا وقولوا يجب أن تنزل المرأة إلى ميدان الرجل لتزاحمه حتى تجلبه . ربوها أولاً على أن تؤدي وظيفة الأساسية ، وظيفة الأم الصالحة التي تنشيء الأمة الرجال . ووظيفة الزوجة المسعدة التي تملأ بيتها أفراحاً ومسرة ، ووظيفة سيدة البيت التي تديره وتدبره لتجعله جنّة الأسرة ؛ ووظيفة المرأة الكاملة التي هي الحنان والمطف والرحمة والمحبة ، بازاء الرجل الذي هو العقل والحزم والقوة واليد العاملة ؛ فإذا بلغت الغاية من كل ذلك فافتحوا لها الباب وقولوا : اذهبي إلى الطريق راشدة فاصنعي ما تريدن ، وزاحمي الرجل إن وجدت السعادة في زحامه

نريخ الرافعي

(يتبع)